جدل jadal
العدد 42 | كانون الأوّل 2024

باكورة مقالات

طلبة سمينار الدراسات العليا

للعام 2024

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

جدل 42
كانون الأول 2024

باكورة مقالات طلبة سمينار الدراسات العليا للعام 2024

تحرير: مهنّد مصطفى
تدقيق لُغويّ: حنّا نور حاجّ
تصميم: أمل شوفاني

حقوق النشر محفوظة 2024
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

المحتويات

06 **المقدّمة**

07 **مقاربات اجتماعيّة**

08 الخصوصيّة في ظلّ ثقافة الرقابة
أمير عودة

12 في راهنيّة الحرملك: تحليل نقديّ لمنهجيّة الألقاب والأسماء في المجتمع الفلسطينيّ
ميّادة عصفور

16 السياسة الحمائليّة، الإدارةِ الشبكيّة في السلطات المحلّيّة ونجاعةِ العمل التشارُك
أشواق منديّة

20 **سياسة وقانون**

21 شعبويّة نتنياهو: ما وراء النصر الشامل
مريم فرح

27 الدَّوْر الدبلوماسيّ للأكاديميا الفلسطينيّة
دعد محمود

33 في ظلّ خسارة مؤكَّدة: الالتماسات المقدّمة الى المحكمة العليا الإسرائيلية
رغدة عوّاد

37 الحركة الإسلاميّة كتيّار فاعل ومؤثّر في النقب
ساهر غزاوي

40 **فن وثقافة**

41 حملات التمويل الجماهيريّ كآليّة للحفاظ على الهُويّة: صناعة الثقافة في الداخل الفلسطينيّ
معتصم زيدان

45 أن تُنتِج فنًّا مستقلًّا في فلسطين بين الرفاهيَة والفعل السياسيّ
عبير بشتاوي

48 "العافية، المثنّى وما يُحسنُ" قراءة في جوهر ووسائط المجاوَرة عند منير فاشه
علي قادري

52 *الزمن المنفويّ... قراءة في فيلم "السبّاحتان"*
علي مواسي

58 **سياسات الحيّز**

59 بين النظرّي والعمليّ في خطط العمل المختلفة لتطوير البلدات العربيّة: طمرة نموذجًا
رنين دياب

63 "روابي": البديل الوحيد في غياب المدينة الفلسطينيّة الحديثة
مريم حاجّ يحيى-عازم

في راهنيّة الحرملك: تحليل نقديّ لمنهجيّة الألقاب والأسماء في المجتمع الفلسطينيّ

ميّادة عصفور*

مقدّمة

منهجيّة منح الألقاب والأسماء في المجتمع الفلسطينيّ هي ظاهرة غير متكافئة جندريًّا، وتعكس سلطة الرجل وامتيازاته وتُعزِّزها. وبحسب هذه المنهجيّة، مخاطَبة النساء تكون من خلال الإشارة إلى الرجال في الأسرة، نحو: "أمّ فلان"؛ "زوجة فلان"... تتجاهل الصياغة اللُّغويّة في هذه المنهجيّة اسمَ المرأة الشخصيّ وتستبدله بما يُنسَب إلى الرجال، وهو ما يؤكّد السلطة الأبويّة والتمييز الجندريّ الذي يُمَوْضِع المرأة في أسفل الهرميّة الاجتماعيّة. في الأدبيّات النسويّة، ثمّة إشارة على نحوٍ رئيسيّ إلى تجربة تغيير اسم عائلة المرأة من وجهة نظر ثقافيّة جندريّة، لكن لا إشارة كافية فيها إلى تغيير وحذف الاسم الشخصيّ بحسب المنهجيّة الموضَّحة أعلاه.

هذه الآليّة في تسمية النساء، من خلال نَسبهنّ إلى أزواجهنّ، تستبدل بمرور الوقت الاسمَ الشخصيّ بل حتّى تؤدّي إلى محوه في بعض الأحيان. آليّة التسمية والألقاب تتضمّن مجموعة متنوّعة من الصِّيَغ اللُّغويّة، لكن في هذه المقالة سوف تقتصر مناقشتي وتحليلي على تناول صيغة معيَّنة من بينها هي التطرُّق إلى النساء بصيغة "حَرَم فلان".

الحَرَم في سياق النساء ما بين الحقبة العثمانيّة والمعاجم العربيّة والاستشراق

بدايةً، ارتبط هذا المصطلح بالعمارة العثمانيّة، عندما أراد المعماريّون في قصر السلطان العثمانيّ بناء مقصورة خاصّة بالنساء، بحيث تكون بمعزل تامّ عن الرجال الأغراب وغير الأقارب. أُطلِق على هذه الحجرة في ما بعد التسمية "حرم – لك". في منطقة الحرملك، سكنت **نساء السلطان -بمن في ذلك زوجاته وجواريه والوصيفات**.

تعود أصول المصطلح "حَرَم" اللُّغويّة إلى الجذر العربيّ (ح.ر.م) الذي يقترن بكلمة "حَرام" المتضمّن معنى المنع والتحريم. وقد أُطلِق هذا المصطلح ("الحرملك") على المكان المخصَّص لنساء السلطان، حيث كان يُحظر دخول الرجال إليه سوى السلطان أو الغلمان العاملين في الحرملك. من الجدير بالذكر أنّه في معاجم اللغة العربيّة لا وجود أو ذِكْر للفظة "حرمة" أو "حريم" كمصطلح أو تعبير أو لفظ يُطلق على المرأة والنساء، وذاك ينطبق أيضًا على مصادرنا التاريخيّة والثقافيّة والدينيّة والأدبيّة المتقدّمة. المعجَم اللُّغويّ "لسان العرب" لا يذكر كلمة "حريم /حرم /حرمة" في الإشارة إلى النساء، بل يورد معانيَ أخرى. كذلك هو الأمر في معجم الدوحة التاريخيّ للّغة العربيّة.

وبالتالي، في بداية الأمر انتقل مصطلح "الحريم" (Harem) إلى العربيّة والإنجليزيّة بنفس المفهوم المعماريّ. لكنْ في ما بعد، بحسب ما أوردته لينا محمّد علي قَطّان في دراستها "الحقيقة المصطنَعة: التصوُّرات الخاطئة عن مَخْدع الحريم في اللوحات الفنّيّة الاستشراقيّة"، وفي حين أنّ هذا المصطلح في اللغة الإنجليزيّة قد يُطلق على المنطقة المعماريّة الداخليّة الخاصّة بالمرأة، أصبح يُطلق في اللغة العربيّة الدارجة على النساء أنفسهنّ بصورة عامّة، بصرف النظر عن تداعياته المعماريّة. بناءً على ذلك، تُظهِر الخلفيّة التاريخيّة والثقافيّة أنّ الأصول الثقافيّة لاستخدام المصطلحين أو التعبيرين "حَرَم" وَ "حريم" (Harem) حكرًا في سياق النساء تعود إلى الحقبة العثمانيّة، فإذّاك أُطلِق اسم الحرم /الحريم على المكان المخصَّص للنساء أنفسهنّ في القصر.

استنادًا إلى لينا محمّد علي قَطّان، في الدراسة نفسها التي ذُكِرت آنفًا، فمن الناحية الاستشراقيّة اكتسب لفظ "الحريم" معنًى ضمنيًّا آخَرَ. فقد أصبح يستثير انطباعًا سلبيًّا في الذهن الغربيّ، ويستدعي قائمة طويلة من السلوكيّات غير المقبولة لديهم، نحو: تعدُّد الزوجات، واضطهاد المرأة، والعنف الأُسَريّ على وجه العموم، بصرف النظر عن تداعياته المعماريّة. وعلى نحوٍ أعمق، أصبح مفهوم الحريم يستقطب بعض الدلالات غير الحقيقيّة، والتي ارتبطت بعالم الشرق الغريب الطريف (Exotic) والعابر للزمن (Timeless) الثابت على مرّ الزمن دونَما تغيير.

من الجدير بالذكر أنّه من ناحية تاريخيّة، في الحضارة الإسلاميّة، كانت المرأة تُذْكَر باسمها الشخصيّ قبل الزواج وبعده. فكرة تحويل اسم عائلة المرأة لتحمل اسم عائلة الرجل تُعَدّ تقليدًا مستورَدًا من الثقافة الغربيّة، وقد لا تكون مرتبطة بأصولنا التاريخيّة، ناهيك عن استخدام ألقاب تنسبها إلى زوجها (نحو: "حرم فلان")؟! في الواقع، كانت المرأة العربيّة تُذْكَر باسمها واسم والدها، على نحوِ ما يتّضح من الأمثلة التاريخيّة، نحو: عائشة بنت أبي بكر؛ تماضر بنت عمر؛ سُكَيْنة بنت الحسين؛ ولّادة بنت المستكفي؛ أسماء بنت أبي بكر...

علاوة على ذلك، من المهّم ملاحظة أنّ القوانين في بريطانيا حتّى أوائل القرن العشرين كانت تسمح بأن تفقد المرأة ممتلكاتها بعد الزواج لصالح الزوج، بينما في الإسلام كانت المرأة تحتفظ بحقوقها الماليّة وممتلكاتها منذ بداية الدعوة الإسلاميّة، وهو ما يعكس مكانتها القانونيّة والاجتماعيّة المستقلّة. تؤكّد هذه الأمثلة الفهم المخطوء للثقافة العربيّة والإسلاميّة، كما تسلّط الضوء على التفسير الاستشراقيّ للمصطلح "حرم"، وتعمل على توسيع وتعزيز نطاق استخدامه في سياق النساء.

نقد معاصر لاستخدام المصطلح "حرم"

بحسب ما ترى المفكّرة والفيلسوفة لوس إيريجاري، ثمّة رباط وثيق بين البيئة الفلسفيّة ونشوء وتشكيل البنى الاجتماعيّة اللاحقة والتي تشمل الأدوار الجندريّة التي نتحدّث عنها هنا. تقول إيريجاري إنّ تشبيهات النساء في الثقافة الغربيّة تدلّ على أنّ ثمّة افتراضًا أوّليًّا مُفادُهُ أنّ المرأة ليست كينونة عاقلة ومستقلّة ذات رغبات وأهداف (أي ببساطة "شَيْء")، ولذا -حسبما تدّعي إيريجاري- لا يُمْكن للمرأة أن تتحرّك في العالم وأن تبني معانيها دون تحوُّلها إلى الـ "ذاتيّة" والتشديد على فرداتيّتها لإدراك الـ "أنا" الخاصّة بها. ما يثير الاهتمام بعلاقته بمبحثي هنا اليوم هو أنّ إيريجاري تسلّط في كتاباتها الأضواء على وظيفة اللغة، وهي تدّعي أنّه من الواجب إنتاج لغةِ تواصُلٍ جديدة من أجل زعزعة هيمنة التداوُليّة التي بُنِيَت تاريخيًّا على مركزيّة الرجال. لهذا الهدف ينبغي أن تنطلق

اللغة الجديدة هذه ممّا تُسمّيه "منطِقًا نسائيًّا" يقوم بتفكيك البنْية الثقافيّة التي تنسب الذاتيّة إلى الرجال حصرًا، والتي يترتّب عليها تَشْيِيء النساء واعتبارهنّ سلعًا منسوبة إلى ذاتيّة الرجال. بالإمكان بناء وتشكيل هذه اللغة والمَنطِق تدريجيًّا عن طريق تكوين وإبراز مثاليّات ورموز نسائيّة (في الأدب والفنّ -على سبيل المثال) لتكون بديلًا للهَيْمَنة الذكوريّة في هذه الحقول.

تُناقش الفيلسوفة لوس إيريجاري قضيّة انتقال النساء من التَّشْيِيء (Object) إلى الذاتيّة (Subject) عمليًّا كذلك؛ فهي تقدّم نقدًا عينيًّا للّغة والبلاغة المستخدمتَيْن في الثقافة الغربيّة يتطرّق إلى استخدام استعارة السوق في سياق وصف النساء. تُحلِّل إيريجاري -في مادّتها "women on the market"- استعارة السوق بأدوات نسويّة ماركسيّة، وتدّعي أنّ هذه الاستعارة تدلّ على أنّ النساء هنّ سلعة خاضعة للتجارة في السوق الحُرّ مثل المنتَجات والخيرات الأخرى. هذا التشبيه نبع من وجود قيمة بيولوجيّة عالية للنساء، وكذلك -بحسب إيريجاري- لوجود طَلَب دائم أكبر من العَرض لوجود غرائز پوليچاميّة عميقة (أي البحث عن علاقات متعدّدة أو التوجُّه نحو نمط حياة يتضمّن تعدُّد الزوجات) لدى الرجال تؤدّي إلى تكوين وعي استهلاكيّ لديهم. تبعًا لذلك، النتيجة هي منظومة اقتصاديّة فاليّة (قضيبيّة) تُبنى حول فرضيّة مكافأة مَشاغل الرجال بالمال وبالرموز وكذلك بالنساء؛ أي إنّ النساء في هذه المنظومة الاقتصاديّة هنّ جزء من ثروة الرجال، فعلى سبيل المثال يقوم الرجال بشراء النساء بعضهم من بعض، ويدفعون المقابل للأب أو للزوج أو للأخ، لا للأمّ إطلاقاً

في هذا الصدد، يُمْكن الادّعاء أنّ اللفظة "الحَرَم" تخدِم أهداف هذا السوق الفاليّ (القضيبيّ) بعدّة مستويات: أهمّها أنّها تؤشّر إلى مُلْكيّة الرجل للمرأة في الحيّز العامّ، تمامًا كمثل إشارات ماديّة مرئيّة ترمي إلى "التعليم" على المُنتَج لئلّا يحاول الآخرون من الرجال الاستيلاء عليه. ومن المُثير أنّ التعبير "عَلَّم عليها" لا يزال مستخدَمًا حتّى يومنا هذا في صفوف بعض الجماعات العربيّة التقليديّة المحافِظة، فقد تكون اللفظة "حَرَم" هي من أدوات العلامة والإشارة إلى مُلكيّة الرجل لتلك المرأة التي "عَلَّم عليها" أو تزوّجها لاحقًا. تغيير اسم المرأة عند الزواج هو كذلك فِعل رمزيّ يدلّ على مركزيّة الرجل في هذه المنظومة الاقتصاديّة؛ إذ في حين يُعتبر ضم اسم عائلة المرأة إلى اسم عائلة الرجل ظاهرة منتشرة عالميًّا، فإن تغييبَ الاسم الشخصيّ للمرأة واستبدال ألفاظ عديدة به -نحو "حرم فُلان" وغيرها-هو ظاهرة قد تكون محصورة في الثقافة العربيّة. كلّ هذه الرمزيّات المتعلّقة بالتسمية تصبّ في بناء هرميّة اجتماعيّة أبويّة واضحة، وكذلك تؤكّد وجود نظرة استهلاكيّة تسويقيّة للنساء تصعّب الخروجَ من الوعي المُشَيْئِن أو التَّشْييئيّ، وبزوغَ وَعْي حُرّ وذاتيّ ومستقلّ.

فضلًا عن هذا، وعلى نحوِ ما ذُكِر سالفًا، للّفظَيْن "حريم" وَ"حَرَم" أصولٌ تاريخيّة عميقة في الأدب والتاريخ العربيَّيْن والإسلاميَّيْن بما في ذلك الحقبة العثمانيّة (وحديثًا في الأعمال السينمائيّة التركيّة في الأساس) تُشكِّل بدَوْرها دلالاتٍ إيحائيّةً تتعلّق بهذه الأصول. الصورة الموصوفة لقصر الحَرَمِلك الغفير بالنساء والجواري والعذارى والغِلمان، والتي قد تكون ذات اشتقاقات استشراقيّة في تصوير الشرق الأنثويّ الخَصيب والخارج عن حدود المنظومة الأخلاقيّة المحلّيّة، هي صورة لا بُدّ من أن تكون جزءًا من المُناخ الإيحائيّ للّفظ "حَرَم" المُعاصر. لتفصيل هذا الادّعاء، بالإمكان مقابلة مؤسَّسة حريم السلطان العثمانيّة ومركّباتها بالواقع الفردانيّ الحاليّ، في حين أنّ الرجل هو السلطان، وبيته هو الحَرَمِلك، ونساءه هُنّ الحَريم والجواري والخَدَم. ذاك إيحاء نوستالجيّ مثاليّ في كلّ ظهور للّفظتَيْن "حَرَم فُلان"، مِمّا قد يُعَدّ ذا قيمة رمزيّة كبيرة للرجال تُشكِّل تحدّيًا في مجابهة النساء لهذه المباني الاستهلاكيّة المذكورة.

ختامًا، اختيار المصطلحات أو التعابير المتداولة في أيّ مجتمع هو مرآة تعكس فكره وعقيدته. في هذا الصدد، كتب سلامة موسى مقالته "الإيحاء الاجتماعيّ للكلمة" متناولًا فيها استخدام اللغة وتوريث مصطلحات من شأنه توريث العواطف حوله كذلك، وفيها يقول: "إنّ للكلمات إيحاءً سياسيًّا أو اجتماعيًّا أو دينيًّا، فما هو إن ننطق بالكلمة أو تخطر هي ببالنا حتّى تنطلق طائفةٌ من العواطف تحرّك إرادتنا وتعيّن سلوكنا وتفكيرنا"، على نحوِ ما في قولنا "حرم فلانٍ" على سبيل المثال. ومن هنا نستنتج أنّ توارُث مصطلح يجمع بين النساء (الحريم) ومفهوم الحرام والتحريم من جهة، ومن جهة أخرى التبعيّة والطاعة لرجلها، من شأنه أنّ يورّث الإيحاء الاجتماعيّ لهذا المصطلح، وإنْ لم نَعِ ذلك أو لم نعترف به على نحوٍ مباشر.

*** ميّادة عصفور: حاصلة على ماجستير في مسار بحثيّ في دراسات النساء والجندر.**

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات
الاجتماعية التطبيقية